(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)**) .

[هود : ٩٦- ٩٩] .

(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**) ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها -بقلب صحيح- أنها تدل على وحدانية الله، وكَذِبِ كلِّ من ادَّعى الربوبية دونه سبحانه وتعالى.

- موسى بن عمران، أفضل أنبياء بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من الرسل.
- صيغة الجمع في قوله (ولقد أرسلنا) للتعظيم .
- والمراد بالآيات: الآيات التسع المشار إليها في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) .

وقال تعالى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) .

وهي: العصا، واليد البيضاء، والسنون العجاف، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

والسلطان المبين: الحجة الواضحة، والبرهان الظاهر على صدقه، وسمى ذلك سلطانا لأن صاحب الحجة والبرهان على ما يدعى، يقهر ويغلب من لا حجة ولا برهان معه، كما يقهر السلطان غيره.

(**إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ**) أي : أرسلنا موسى إلى فرعون وأكابر أتباعه وأشراف قومه، فكفر فرعون وأمر قومه أن يتبعوه، فأطاعوه، وخالفوا أمر موسى .

- وقوله (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) خصهم بالذكر مع فرعون، لأنهم هم الذين كانوا ينفذون أوامره، ويعاونونه على فساده والضمير في قوله فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ يعود إلى الملأ.

أي : فاتبعوا أمره في كل ما قرره من كفر، وفي كل ما أشار به من فساد.

- فقد ادعى أنه إلههم من دون الله كما قال تعالى عنه (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) .

وقال تعالى (فقال أنا ربكم الأعلى) .

وكان قومه ضعفاء العقول ، يتبعون أمره مع وضوح ضلاله وفساده لخفة عقولهم .

كما قال تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) .

(**وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**) أي : وليس في أمر فرعون رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد ، فكان من الواجب على ملئه أن ينبذوه ويهملوه، بدل أن يطيعوه ويتبعوه .

(**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**) أي : يتقدم فرعون قومه يوم القيامة إلى جهنم، كما كان يتقدمهم في الكفر في الدنيا، فأوردهم النار، أي: فدخلها وأدخلهم معه فيها.

- **قال القرطبي** : قوله تعالى (فَأَوْرَدَهُمُ النار) أي أدخلهم فيها ، ذُكِر بلفظ الماضي ؛ والمعنى فيوردهم النار ؛ وما تحقق وجوده فكأنه كائن ؛ فلهذا يُعبَّر عن المستقبل بالماضي.

(**وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**) أي: وبئس الورد الذي يردونه النار، لان الورد- الذي هو النصيب المقدر للإنسان من الماء- إنما يذهب إليه قاصده لتسكين عطشه، وإرواء ظمئه، وهؤلاء إنما يذهبون إلى النار التي هي الضد من ذلك.

- والورد- بكسر الواو- يطلق على الماء الذي يرد إليه الإنسان والحيوان للشرب ، فالوِرد الشيء الذي يورد .

(**وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**) أي : وأتبعهم الله في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجَّله لهم فيها من

الغرق في البحر لعنةً، ويوم القيامة كذلك لعنة أخرى بإدخالهم النار، وبئس ما اجتمع لهم وترادَف عليهم من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى في آية أخرى (وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) .

والرفد العطاء والعون يقال رفد فلان فلانا يرفده رفدا أي أعطاه وأعانه على قضاء مصالحه، أي: بئس العطاء المعطى لهم تلك اللعنة المضاعفة التي لا بستهم في الدنيا والآخرة.

وسميت اللعنة رفداً على سبيل التهكم بهم .

فكأنه سبحانه يقول: هذه اللعنة هي العطاء المعطى من فرعون لأتباعه الذين كانوا من خلفه كقطيع الأغنام الذي يسير خلف قائده بدون تفكر أو تدبر ...وبئس العطاء عطاؤه لهم .

وهذا أسلوب عربي، جار على غرار قوله تعالى (وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا).

الفوائد :

١- عظمة الله .

٢- إثبات رسالة موسى .

٣- أن موسى كغيره من الأنبياء أعطي من الآيات العظيمة الدالة على صدقه .

٤- ذم من يتبع من لا يعقل ولا يرشد .

٥- أن فرعون كما كان قائداً لقومه في الدنيا في الضلال ، فإنه يكون قائدهم يوم القيامة إلى النار .

٦- أن فرعون وقومه لعنوا في الدنيا وفي الآخرة .

(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)) .

[هود : ١٠٠- ١٠١] .

(**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ**) أي : ذلك الذي قصصناه عليك- أيها الرسول الكريم- في هذه السورة الكريمة، وهو جزء مِنْ أَنْباءِ الْقُرى المهلكة.

(**نقصه عليك**) أي : نخبرك به إخباراً مفصلاً في هذا القرآن عن طريق وحينا الصادق، ليعتبر به الناس، وليعلموا أن هذا القرآن المشتمل على هذا القصص الذي لا علم لهم به من عند الله .

- قوله (أنباء) جمع نبأ ، وهو الخبر الذي له شأن .

والنبأ أخص من الخبر، فكل نبأ خبر وليس كل خبر نبأ، لأن النبأ لا يطلق إلا على الخبر الخاص، وهو الخبر الذي له خطب وشأن، وهلاكهم وتهديد ووعيدهم نبأ عظيم له شأن وخطب جسيم.

وإنما كانت هذه الأنباء عن هذه القرى أخبار لها خطب وشأن؛ لأنها دَلَّتْ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ الله، وعلى صبر أنبيائه، وعلى شدة بطشه وعدالته وإنصافه، وإهلاكه للظالمين، وأن فيها من التخويف للموجودين من عذاب الله وسخطه ما ينهاهم أن يقع منهم مثل ما وقع من الأوَّلِين، ولذا كان لها شأن وخطب؛ ولذا قال (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) .

- **قال السعدي:** قوله تعالى (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين.

- **وقال القرطبي**: وهي تسلية للنبيّ عليه السلام والمسلمين.
- والقرى تطلق على الأبنية وعلى الساكنين بها .

(**مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ**) أي : من هذه القرى المهلكة ما آثارها قائمة يراها الناظر إليها، كآثار قوم ثمود ، ومنها ما أثارها عفت وزالت وانطمست وصارت كالزرع المحصود الذي استؤصل بقطعه، فلم تبق منه باقية، كديار قوم نوح.

- الضمير في قوله: (منها) يعود إلى تلك القرى المهلكة، والجملة مستأنفة للتحريض على النظر والاعتبار، فكأن سائلا سأل ما حال هذه القرى المهلكة أباقية آثارها أم عفى عليها الزمن؟ فكان الجواب: منها قائم وحصيد.

(**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**) إذ أهلكناهم .

(**وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ**) ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، بسبب إصرارهم على الكفر، وجحودهم للحق، واستهزائهم بالرسل الذين جاءوا لهدايتهم .

(**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ**) أي : أن هؤلاء المهلكين عند ما نزل بهم العذاب، لم تنفعهم أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شيئاً من النفع ... بل هي لم تنفع نفسها فقد اندثرت معهم كما اندثروا.

والفاء في قوله سبحانه (فَما أَغْنَتْ) للتفريع على ظلمهم لأنفسهم، لأن اعتمادهم على شفاعة الأصنام، وعلى دفاعها عنهم... من مظاهر جهلهم وغبائهم وظلمهم لأنفسهم.

ومِنْ في قوله: (مِنْ شَيْءٍ) لتأكيد انتفاء النفع والإغناء: أي: لم تغن عنهم شيئاً ولو قليلاً من الإغناء ولم تنفعهم لا في قليل ولا كثير .

(**وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيب**) أي : وما زادتهم أصنامهم التي كانوا يعتمدون عليها في دفع الضر سوى الخسران والهلاك.

قال ابن كثير : قال مجاهد، وقتادة، وغيرهما: أي غير تخسير، وذلك أن سبب هلاكهم ودَمَارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها فبهذا أصابهم ما أصابهم، وخسروا بهم، في الدنيا والآخرة.

الفوائد :

١- أن الله يقص علينا نبأ القرى للاعتبار والاتعاظ .

٢- علم من أعلام نبوته ﷺ .

٣- أن الله أهلك كثيراً من القرى بسبب ذنوبهم .

٤- أن تلك القرى منها ما هو موجود آثارها ، ومنها ما محي .

٥- أن سبب هلاك تلك القرى هو الظلم .

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)) .

[هود : ١٠٢] .

(**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**) أي : ومثل ذلك الأخذ والإهلاك للظالمين السابقين، يكون أخذ ربك وعقابه لكل ظالم يأتي بعدهم وينهج نهجهم.

والكاف في (وَكَذلِكَ) بمعنى مثل، والمراد بالقرى: أهلها الظالمون.

والأخذ: هو العقاب المباغت السريع: يقال أخذ فلان الموت، إذا نزل به بسرعة وقوة.

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال (إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ رسول الله ﷺ وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد) متفق عليه .

- وقوله تعالى (وهي ظالمة) فيه أن هلاك الله للأمم إنما بسبب ظلمهم وكفرهم .

والله يمهل الظالمين ولا يهمل كما قال تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ).

- مباحث تتعلق بإهلاك الله للقرى المكذبة:

أولاً: أخبر الله أنه أهلك كثيراً من القرى.

قال تعالى (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ).

وقال تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً).

وقال تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً).

وقال تعالى (وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً).

وقال تعالى (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ).

ثانياً: أخبر الله أن هلاك القرى والأمم بسبب ذنوبهم وكفرهم.

قال تعالى (فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ).

وقال تعالى (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً).

وقال تعالى (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا).

وقال تعالى (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ).

ثالثاً: أن الله لا يهلك القرى حتى يرسل إليهم الرسل.

قال تعالى (ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً).

وقال تعالى (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ).

وقال تعالى (ومَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا).

رابعاً: أن الله يقص خبر الأمم السابقة للعبرة والاتعاظ.

قال تعالى (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

وقال تعالى (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

وقال تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا).

خامساً: أخبر تعالى أن أهل الترف والغنى هم من يكذب بالرسول من القرى.

قال تعالى (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون).

وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ).

سادساً: أخبر تعالى لو أن أهل القرى آمنوا لكان خيراً لهم.

قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ).

الفوائد :

١- شدة انتقام الله من المكذبين الكافرين .

٢- أن الله أهلك كثيراً من القرى .

٣- أن سبب هلاك الأمم ظلمهم وتكذيبهم .

٤- الحذر من غضب الله .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤)) .

[هود : ١٠٣ – ١٠٤] .

(**إِنَّ فِي ذَلِكَ**) يقول تعالى : إن في إهلاكنا الكافرين وإنجائنا المؤمنين .

(**لآيَةً**) أي : عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة .

(**لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ**) لأنه هو المنتفع بالعبر والعظات لصدق إيمانه، وصفاء نفسه، وإيقانه بأن هناك في الآخرة ثواباً وعقاباً وحساباً على الأعمال الدنيوية..

أما الذي ينكر الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، فإنه لا يعتبر بما أصاب الظالمين من عذاب دنيوي دمرهم تدميراً، بل ينسب ذلك إلى أسباب طبيعة أو فلكية أو غيرهما، لا علاقة لها بكفرهم وظلمهم وطغيانهم .

- **قال الشنقيطي** : ... وأنها إنما يتذكر بها من يخشاه سبحانه كما قال (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) وقال في الساعة (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا).

وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها فلا تنفعه الآيات العيانية ولا القرآنية، ولهذا لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل وما حل بهم في الدنيا من الخزي، قال بعد ذلك (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) فأخبر أن في عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة.

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا) أي : يخشى عذاب الآخرة ، فالمحذوف في سورة النازعات صرح به هنا .

- أما من لا يؤمن بالآخرة فلا ينتفع بهذه الآيات .

قال تعالى (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)

وقال تعالى (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) .

وقال تعالى (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ) .

(ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ) أولهم وآخرهم .

كما قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) .

وقال تعالى (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) .

وقال تعالى (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) .

- ونكّر اليوم تهويلاً وتعظيماً

(**وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**)أي : عظيم تحضره الملائكة ، ويجتمع فيه الرسل ، وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ، ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها .

كما قال تعالى (كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) .

وقال تعالى (أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

- والغرض من ذلك، وصف هذا اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام، بأنه اليوم الذي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ... .

(**وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**) الأجل في اللغة: الوقت المضروب لانتهاء مدة معينة .

فأجل الإنسان: هو الوقت المحدد لانقضاء عمره، فقوله (إلا لأجل) أي : لوقت .

المعدود : المحسوب بإتقان لا يزيد ولا ينقص

والمعدود: أصله المحسوب، والمراد به هنا: المحدد بمدة معينة لا يزيد عليها ولا يتأخر عنها.

أي : أننا لا نؤخر هذا اليوم إلا لوقت محدد معلوم لنا، فإذا ما جاء موعد هذا الوقت، حل هذا اليوم الهائل الشديد وهو يوم القيامة، الذي اقتضت حكمتنا عدم إطلاع أحد على موعده.

الفوائد :

١- أن هلاك الأمم المكذبة آية من آيات الله .

٢- أن من علامات الاعتبار والاتعاظ الإيمان باليوم الآخر .

٣- أنه ليس كل أحد يعتبر بالآيات .

٤- إثبات الحشر واجتماع الخلائق .

٥- أن يوم القيامة يوم عظيم مشهود .

٦- أنه لا يعلم يوم القيامة إلا الله .

(**يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)**) .

[هود : ١٠٥- ١٠٩] .

(**يَوْمَ يَأْتِ**) أي : يوم يأتي يوم القيامة .

(**لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) أي : لا يتكلم أحد إلا بإذن الله .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) .

(**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**) أي: فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد، كما قال (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) .

الشقي : هو الشخص المتلبس بالشقاوة. والشقاء: أي سوء الحال- بسبب إيثاره الضلالة على الهداية، والباطل على الحق .

والسعيد: هو الشخص المتلبس بالسعادة، وبالأحوال الحسنة بسبب إيمانه وعمله الصالح.

والمعنى: حين يأتي هذا اليوم وهو يوم القيامة، لا تتكلم فيه نفس بأي كلام إلا بإذن الله تعالى ويكون الناس فيه منقسمين إلى

قسمين: قسم شقي معذب بسبب كفره، وسوء عمله، وتفريطه في حقوق الله، وقسم سعيد منعم بسبب إيمانه: وعمله الصالح.

(**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**) الزفير : هو إخراج النفَس بشدة ، والشهيق : هو رد النفس بشدة ، قال الطبري : صوتُ الكافر في النار صوت الحمار ، أوله زفير وآخره شهيق

والمراد بهما: الدلالة على شدة كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة، واستبد به الضيق حتى صار في كرب شديد .

والمعنى: فأما الذين كان نصيبهم الشقاء في الآخرة، بسبب كفرهم واقترافهم للمعاصي في الدنيا، فمصيرهم إلى الاستقرار في النار، لهم فيها من ضيق الأنفاس. وحرج الصدور، وشدة الكروب ما يجعلهم يفضلون الموت على ما هم فيه من هم وغم. وخص سبحانه من بين أحوالهم الأليمة حالة الزفير والشهيق تنفيرا من الأسباب التي توصل إلى النار، وتبشيعا لتلك الحالة التي فيها ما فيها من سوء المنظر، وتعاسة الحال ...

(**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**) أي : أن الأشقياء لهم في النار العذاب الأليم، وهم ماكثون فيها مكث بقاء وخلود .

فإن قيل : قد علم بالأدلة القطعية تأبيد عذاب الكفار في النار ، وعدم انقطاعه عنهم ، وثبت أن السموات والأرض تذهب عند انقضاء أيام الدنيا ، فكيف قال (**مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**) ؟

والجواب من وجهين :

الأول : أن ذلك بناء على عادة العرب إذا أرادت المبالغة في تأبيد الشيء ودوامه، قالت: هو دائم ما دامت السموات والأرض، فأفهم الله تخليد الكفرة بذلك، وإن كان قد أخبر بزوال السموات والأرض، فهو أسلوب جارٍ على عرفهم يفيد الأبد والدوام الخالي عن الانقطاع .

والثاني : ليس المراد بقوله (**مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**) سموات الدنيا وأرضها ، فإن هذه تذهب بذهاب الدنيا ، وإنما المراد بها سموات الآخرة وأرضها ، فهي دائمة مخلوقة للأبد لا تفنى ولا تزول ، وعلى هذا فعذابهم وخلودهم أبدي دائم بدوامها .

لا يبرحونها مدة دوام السموات التي تظلهم، والأرض التي تقلهم فهو في معنى قوله تعالى خالِدِينَ فِيها أَبَداً.

(**إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ**) هذه الآية دلت بظاهرها على استثناء خلود أهل النار .

فقد يفهم البعض أن ذلك يدل على انقطاع عذاب الكفار في النار ، ونفي الخلود المؤبد لهم وذلك لقوله (إلا ما شاء الله) .

- ومن المعلوم المقطوع به ، وهو من عقائد أهل السنة والجماعة : خلود أهل النار بها واستمرار عذابهم بها وعدم انقطاعه .

وقد جاءت النصوص الكثيرة المتواترة بذلك :

كقوله تعالى (خالدين فيها أبداً) .

وقوله تعالى (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) .

وقال تعالى (وما هم بخارجين من النار) .

وقال تعالى (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ) .

وقال تعالى (مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور) لأنهم لو ماتوا استراحوا من العذاب .

وقد أجاب العلماء على هذه الآية (إلا ما شاء الله) بأجوبة :

الجواب الأول : أن الاستثناء هنا خاص بالعصاة من المؤمنين.

ورجح هذا القول : ابن جرير ، وابن كثير.

قال ابن كثير : وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة ... نقل كثيرا منها الإمام ابن جرير، واختار: أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتى رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: لا إله إلا الله، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة . (تفسير ابن كثير)

- **وقال الشوكاني** : قوله (إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ) قد اختلف أهل العلم في هذا الاستثناء على أقوال منها :

أن الاستثناء إنما هو للعصاة من الموحدين وإنهم يخرجون بعد مدة من النار، وعلى هذا يكون قوله (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا) عاماً في الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء من خالدين، وتكون ما بمعنى من، وقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواترا يفيد العلم الضروري بأنه يخرج من النار أهل التوحيد، فكان ذلك مخصصا لكل عموم.

- **وقال الرازي** : بعد ذكره هذا القول : وهذا كلام قوي في هذا الباب .

وعلى هذا يكون قوله سبحانه (فأما الذين شقوا) عاماً في الكفرة والعصاة من أهل التوحيد ، ويكون الاستثناء من خالدين .

- **وقال البيضاوي** في تفسيره (إلا ما شاء ربك) استثناء من الخلود في النار، لأن بعضهم –وهم فساق الموحدين– يخرجون منها .
- **وقال الشنقيطي** : قوله (إِلاّ مَا شَاءَ اللهُ) معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها وهم أهل الكبائر من الموحدين .

الجواب الثاني : أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم قاله ابن جرير أيضاً .

الوجه الثالث: أن قوله (إِلاّ مَا شَاءَ اللهُ) فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر في الأصول.

(**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**) أي : فهو إن شاء غير ذلك فعله، وإن شاء ذلك فعله، ما شاء من الأفعال كان وما لم يشاء لم يكن.

وجاء سبحانه بصيغة المبالغة فَعَّالٌ للإشارة إلى أنه سبحانه لا يتعاصى عليه فعل من الأفعال بأي وجه من الوجوه.

(**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ**) في الآخرة بسبب إيمانهم وعملهم الصالح .

(**فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**) تقدم الكلام عليها .

(**إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ**) لأن كل شيء بمشيئته .

ولما كان ذلك يوهم الانقطاع قال :

(**عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ**) أي : عطاء منه سبحانه لهم غير مقطوع عنهم .

وهذا نص في عدم انقطاع نعيم أهل الجنة .

كما قال تعالى (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) .

وقال تعالى (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ) .

(**فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ**) أي : لقد قصصنا عليك أيها الرسول الكريم

الكثير من أخبار السابقين وبينا لك مصير السعداء والأشقياء ... ومادام الأمر كذلك، فلا تك في شك من أن عبادة هؤلاء المشركين لأصنامهم إنما هي تقليد لما كان يعبده آباؤهم من قبل، وأنه كفر وضلال وباطل، وهذه العبادة لغير الله تعالى ستؤدى بالجميع إلى سوء العاقبة وإلى العذاب الأليم .

والخطاب للرسول ﷺ وهو من باب : إياك أعني واسمعي يا جارة .

(**وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ**) أي: وإنا لمعطو هؤلاء الذين نهجوا منهج آبائهم في عبادة غير الله، نصيبهم وحظهم من عذاب الآخرة كاملا بدون إنقاص شيء منه، كما ساروا هم على طريقة سلفهم في الضلال دون أن يغيروا شيئا منها ...

ومنهم من جعل المراد بالنصيب هنا: ما يشمل الجزاء على الأعمال الدنيوية والأخروية.

الفوائد :

١-أن يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله .

٢-أن الناس ينقسمون يوم القيامة إلى شقي وسعيد .

٣-أن من عذاب أهل النار خلودهم فيها وعدم انقطاع عذابهم بها .

٤-أن الله يفعل ما يريد .

٥- أن من أعظم نعيم أهل الجنة خلودهم الأبدي فيها .

٦- أن عظيم أهل الجنة دائم لا ينقطع .

الخميس: ٢٢/رمضان/١٤٣٩هـ